حکایات کهل

الكتاب: حكايات كهل.

المؤلف: إبراهيم زايد.

الغلاف: علي إيهاب.

رقم الإيداع: 13207

الترقيم الدولي: 1 – 39 – 6886 – 977 – 978

المراجعة اللغوية: مكتب مدينة الكتب للخدمات.

الإخراج الفني: دار المدينة للنشر والتوزيع والترجمة.

رئيس مجلس الإدارة: محمود عادل محمود

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز لأي صورة نشر، أو اقتباس، أو إعادة طبع أي جزء من الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو كان أو بأي طريقة سواء أكانت إلكترونية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من الناشر.

العنوان4 ح جامع بلال– الشرابية - القاهرة

البريد الإلكتروني: Citybooks20@gmail.com

قصص ' خواطر

حكايات كهل

إبراهيم زايد

المدينة
للنشر والتوزيع

(إهداء)

"ربما لا أحد يعلم عدد النجوم ف السماء، ولكني على يقين بأن السماء افلتت واحدة"

إهداء لكِ وحدك ولا لأحد سواكِ .. أمي.

الجزء الأول

(القصص)

(الطفل)

أستيقظ في الفجر، ليس على صوت الأذان، فلا مسجد قرابة منزلي ولا زاوية، بل استيقظ على صوت بكاء طفل.

افتح النافذة وأخرج رأسي لأتأكد ان الصوت ليس من داخل شقتي، ولكن فتح النافذة لم يغير شيئاً، إذن..

الطفل في شقتي.

اشعر بالانزعاج، اهمس وانا اقف فوق السرير : من؟

يجيب الطفل بكلام غير مفهوم بفعل البكاء، ولكن الصوت عالي، وهو سمع همسي، اذن..

الطفل في غرفتي.

يزداد بكاءه فأتوتر، واحملق في الساعة على الحائط، العقرب يلدغ صاحبه، يدور ولا الحق نظرة، لا أعلم ما الوقت الأن، لا أعلم جدول مواعيدي، ولكني متأخر عن شيئ ما، لا اعلم ماهيته، لا اعلم جدواه، كل ما اعلم هو أني فقدته، وأني لن انساه.

اخرج للصالة الفارغة، وفراغها موحش، مزعج كالصمت، احياناً يزعجني الصمت، يثقب رأسي صوت اللاشئ، مثل البوح لفتاة بشعورك، والصمت منتظراً اجابتها، قد تصمت لثواني ولكنك.. تشعر بالألفية تمر، صوت الصالة صوت الصمت، صوت صمت صوت الوحدة، يكسر صمتي صراخ الطفل، اذن..

الطفل في الصالة.

اجري في انحاء الشقة، لا يبعد صوت الطفل ولا يقرب، وكأن صراخه اسفل قدمي، وكأن دموعه على وجهي، وفي الحمام، صوت بكاء الطفل له صدى، وأخبرتني أمي في الطفولة، أن البكاء في الحمام قد يُغضب الجن، وصادقت الجن من يومها، المخلوق الوحيد ، الذي يغضب لبكائي. متى يصمت ذلك الطفل؟

صدى صوته في الحمام يزعجني..

الطفل في الحمام.

اخرج من الشقة، وبكاءه يطاردني، اسرع في الجري، وبكاءه يزداد، توقعت أن يبعد الصوت، ولكنه لا يبعد، يزداد فقط.

وفي الشارع، تأكدت أنه حلم، عندما رأيت الناس عمالقة، اكبر من اللازم، اكبر من المعتاد، واكبر مني، والبيوت ايضاً، وشعرت بالخوف، وظللت أجري، حتى وجدت يداً عملاقة تعترضني، ونظرت للوجه العملاق، كان هذا حلاق الحي، ولكنه قد اصبح عملاق، انا في يد الحلاق، والطفل يصرخ اكثر فأكثر.

والحلاق يذهب نحو محله، وعندما دخلنا الى المحل، ونظرت الى المرآة، علمت أنه لم يكن حلم.. وأن الطفل الذي يبكي.. هو أنا !

***

(وجبة لذيذة)

أصدقائي قاموا بدعوتي إلى العشاء، فأستجبت لها كعادتي وأنطلقت بأجمل ملابس أمتلكها. وحين وصلت كانت أنغام الموسيقى الكلاسيكة وضحكات الأصدقاء تطمئن قلبي الحائر،

عانقت الجميع وأخذت كرسي وجلست على مائدتهم، مطمئناً وشبه سعيد، تبادلنا الدعابات الخفيفه قبل أن ياتي العشاء، ضحكنا كثيراً وقرعنا كؤوسنا نخباً للحب الذي لطالما جمعنا.

وحين أتى النادل ليقدم العشاء ، تناولني بطعنة قاسية بين كتفي، فلم أعد أستطيع الحراك ، بقيت عيناي تتحركان لتنظر الأصدقاء من حولي.

حملني النادل والطباخ ووضعاني على المائدة وهموا بتقطيعي إلى قطع صغيره جدًا ، فبدأ الأصدقاء بالأمساك بأشواكهم وسكاكينهم ، تحضيراً لألتهامي. صديقي القديم المسافر ، أخذ قطعة كبيرة من دماغي وبدأ بمضغها، فما عاد بأستطاعتي تذكر من هو؟

أخذ صديق في العمل يقطع أصابعي وهو يقول "أصابع المخطئ ستكون طبقي". صديقتي الوحيده لم تخجل بأن تأخذ على عاتقها تقطيع لساني، فلطالما كانت متاكدة بأن له نفس تأثير الكحول. بعض الأصدقاء تناولوا كبدي، ومنهم من رفض تذوق رئتي، لأنها فاسدة من التدخين.

حبيبتي كانت جالسه بين الأصدقاء، رأيتها بطرف عيني ولكنني لم أستطع الصراخ لها، فلا لسان لي لأخبارها بأني بحاجة للمساعدة، لكنها شعرت بي وأقتربت مني وأنا ممد على هذي الأطباق وهذي المائدة والجميع يأكلني. نظرت لي وأبتسمت لعيني المرتجفتين، وقالت :"قلبك الذيذ لي" أدخلت كلتا يديها في قفصي الصدري وأخرجت قلبي وألتهمته على مهل دون الحاجه لسكين أو شوكة، فلم يعد بمقدوري التفكير أو الحياة، ماتت أجفان عيناي هلعاً، في اللحظة التي رأيت فيها حبيبتي تلفظ قلبي المرير من بين أنيابها، فلا عين لي لأرى أيهم أكل روحي، وحين شبع الجميع ، قرعوا كؤوسهم نخباً للحب الذي يجمعنا تتكرر هذه الدعوات لي يوميًا ، أحضر بعضها وارفض البعض ، وأيام .. حتى أنا .. أتناول نفسي

***

(الغراب)

عزيزتى ، تحية طيبة وبعد..

أعرف أني مجهول بالنسبة لك لكنني عرفتك منذ سنين ، منذ أن قرأتك للمرة الأولى فى أحدى رسائلك التي تمت ايصالها لى عبر بريد ما ، للأسف لست أنا الغراب الذي لم يحتمل فراقك فلتعتبرني أحد قرائك العابرين ، أعيش في مكان ما يشبه الذي عرفته وربما يكبره قليلاً ، أعيش حيث لا إحساس بالزمن وحيث لا شيء مؤكد غير أن العمر يمضي ، إلا أنني من الحين للأخر أستطيع أستخدام أجهزة أذكى مني لأقيس مدى محدودية قدراتي العقلية التي مازلت غير قادره علي إستيعاب الخطاء المطبعي في كارت الذاكره الخاص برأسي الممتلئ عن أخره بالأخطاء التي أرتكبوها في توبيخي على أخطائي مما أدي إلى ما أنا عليه الأن .. قبل أن أعرفك كنت أعتقد أن اللا وعيي هو مكان تدفن فيه الغرائز بشكل غير مألوف للوعي مما يتيح لي بأثر رجعي ردة الفعل بدلاً عن الصمت الذي كان وأستنكار كل أخطائهم التي أرتكبوها معي مثلما أستنكروا كل أخطاءي ، إما الأن فأصبحت لا أعد أخطائي ولا أبغضها ، فأنا لست بحاجه إلا

للمزيد من الصفعات القادره على ضخ المذيد من الحياه في قلبي الذي يعمل بما تبقى فيه من الدماء الملوثه بالنيكوتين المصنوع من القلق ..

أنا ما أنا داخل أسوار سجني وكما سأفقد الإحساس بما هو "أنا" خارج أسوار هذا المكان فلا قيمة لدي لكل ما يجري هنالك ، أفتح عيني كل صباح على المشهد ذاته برتابته المقيتة فأتنفس الصعداء وأطمئن لأنني لم أنجو بعد ومن ثم أنفض الغبار عن جثتي وأفرغ قلبي في صندوق خشبي أجرُه وأمضي بين المارة ومن ثم أخبرك بكل شئ حتى لا يقلق ، فلا يزال هناك من هو مهتم لما في حوزتي ، وما زلت أحصل على الكسور العميقه في ذاتي المتجسده في نظراتهم المشوشة التي تخبرني بأنني جيد إلى حد ما كلما أنهكني المسير أحيانًا ، ولكنها بالمقابل تنهش عقلي بلمسه فضوليه لمعرفة ملمس ورائحة تلك النظرات؟ التي تؤكد كل يوم على أنني ميت لا محاله من شدة الحكه في رأسي ، مما جعلني مثلك خائفاً من الموت وحيداً كما هي الحياه ، ولذالك قررت أن أصرف جزء من وقتي في الأعتناء بغراب صغير ضعيف الجناح وأطعمه ما أملكه في صندوقي الخشبي إلى أن يقوى على الطيران فأرفعه على يدي عالياً لينجو هوا ويسقط جسدي ، فأنا لا أفكر جدياً بحفر أسمي قرب اسمك في غرفة التأهيل ، ليس لأنني بعيداً عن النجاة إلا أنني أخاف أن أقضي عمراً آخراً

وأنا أقرأ الأسماء التي سبقتني إلى ذات المصير ، وأخاف أن يقتلني الوعي بالرتابه والملل الذى أصبح واقعاً أعيشه بلا أي رفض أو قبول .

فأصنع العالم داخل مخيلتي لأنام مطمئناً وأخاف أن يصفعني أحدهم فأصحو ، أنا أشبهك جداً يا "عزيزتى" إلا أنك حين حفرت اسمك على جدارك كنتِ متأكده أنه سيبقى محفوراً في رأس أحدهم على أقل تقدير ليتوقف بعد ألف عام ويتسائل عما إذا كانت غرفة دفنك جيدة وتصلها الشمس؟ أو أن النعش الخشبي يناسب وزنك وطولك؟

أما أنا فلا أملك إلا تلك النظرات المشوشه وانتظار اليوم الذي سيعود فيه أليّ غرابي الذي تركت في داخله أثراً يذكر ..

***

(مدينة الصمت)

سأشرح لكِ الأمر، ذات مرّة حكت لي جدتي حكاية ما قبل النوم عن مدينةٍ استيقظ أهلُها ذات صباح ليجدوا أن كل مَن في المدينة قد فقد النطق ، أصبحوا يطلقون صيحات ، تمامًا كالإنسان أول أيام وجوده ..

ظل الوضع في هيئته الصامتة تلك حتى جاءت غريبة سافرت صوب مدينتهم ، لم تكن قد ألمَّ بها ذلك الحدث الصامت ، كانت تتكلم ، لم يستطع أحد الرد عليها ، فزادت الأمور غرابة حينما وجدوها تعلم تمامًا ماذا يدور في تلك المدينة ، فقط أخذت تتجول بطرقات المدينة والكل مُتابع ، توقفت أمام شاب يشبهها تقريبًا فقبلته وقالت تستطيع أن تتكلم ، فتكلم!

ظنَّ الجميع بأنها ملاكًا شافي ، حاول الجميع تقبيلها ، ماتت تحت أجسادهم ، وعاد الشاب تارةً أخرى لعجزه عن النطق ..

بعد أيام ظهر رجال ونساء على حدود المدينة ، فعلوا تمامًا كصديقتنا تلك ، كلٌ وجد شبيهه فعاد للحديث مره أخرى ، فقط تبقى شخصٌ واحد لم يعد يستطيع التحدث ثانيةً !

هذا هو كل ما في الأمر ، لا تدعي أحدًا يفقدني النطق ..

***

(نصف مشوه)

كان كل شيء يبدو عادياً.

الغرفة الغير مرتبة، الكتب التي تحتل كل الزوايا، القرف، صوره على الجدار لحبيبة غائبة، رائحة السجائر العفنة، وملابسكِ الداخليه.

على الأرض صورة شعاعية قديمة لصدري، يظهر فيها قلبٌ مشوه يشبه جمجمة جنين، وكبد يشبه يد تقبض على عنق يختنق.

على الطاولة أعقاب سجائر تتكدس في المنفضة كأشلاء بشرية ساخنة، وبجانب المنفضة شريط لتسجيل صوتي لي يظهر به واضحاً وهو يقول لشخص مريض وفاسد.. جيد جدا

والفاسد يتحدث بتهكم عن الأخلاق والحب.

في البيت غضب هائل بقدر ملعب، لسحق نهود مكورة وخيبات نافرة، وعلى الأريكة تسترخي الذكريات كأعضاء تناسلية قديمة لعجوز.

ووحش هو أنا، نعم أنا وحش من الأنانية، وحش متخلف بلا مخالب ولا أنياب، بظلٍ كبير وأصابع نحيلة تختبئ بينها وشوم لأسماء بشرية.

في اليوم الذي ولدتُ فيه، قالو لأمي لديك جنين مشوه، بشعٌ لدرجة أن المخلوقات الفضائية استفرغت مادة هلامية خضراء اسمها الطبيعة.

كان كل شيء يبدو عادياً، ولهذا استيقظتُ على صوت ارتطام لحادث مروري في الشارع أمام منزلي، قتل اثره تسعة عشاق. فركت عيناي بأصابعي على مهل، ونهضت من السرير متجهاً إلى الحمام، وهناك حدث أمرٌ مدهش. نظرتُ إلى المرآة، لم أجد وحشاً مشوهاً، وجدت شاباً جميلاً في العشرين من عمره .

صرخت بقرف يا إلهي!! أنا جميل ؟!!

لم أقل هذة الجملة في حياتي قط، لذا فتحت صنبور الماء ووضعت رأسي تحته.

تذكرتك فجأةً، ملابسك الداخلية هنا، هل هنالك من علاقة أن أقول لك البارحة أنني أحبك، لأجد نفسي جميلاً اليوم ؟!

لم يحدث هذا مع من قبل، كنتُ أكره جميع تفاصيل وجهي، جلدي الجاف كرغيف خبز يابس، جسدي المشوه، الشفتان

القاتمتان كجريمة غامضة، الخدود الغائرة من الضعف والعظام البارزة في كل مكان.

وكما يزيح البشر الآن جثث العشاق من الشارع، أزحتُ وجهي من تحت المياه.

نظرتُ الى المرآة من جديد، اللعنة أنا جميل فعلاً وهاتان العينان تشبها عينا أمي.

لم أحدث أمي منذ سنوات، لم أشعر يوماً أنه علي أن أحدثها لتقول لي: صباح الخير ياطفلي المشوه، ثم تكمل : كيف حالك ؟...

فيجيبها صمتي الأخرس، وشفتاي المشلولتين ووجهي المشوه،

فتبكي أمي كمن خسر رهاناً كبيراً ..

وضعت المنشفة على رأسي، وخطوت بإتجاة الغرفة، وأنا افكر بصوت أمي وأغني على غير العادة الكلمات التي أحدثُ نفسي بها

-الأمر بسيط، الأصابع تقبض على السماعة، ثم صوت أمي-

وفجأةً اختفى صوتي ..وقفت على باب الغرفة، تسمرت عيناي بدهشة وأنا أنظر إلى الزاوية ..رأيتني ممددٌ على السرير، أصوب

أصابع يدي بشكل مسدس على رأسي البشع، وعيناي نصف مفتوحتان.

***

(مكرونة بالتوابل الحاره)

منذ خمسة أعوام لم ألتقي شخصاً أعرفه قبلها إلا واحداً التقيته مصادفة، ولم تكن تجمعني به أكثر من مجرد معرفة سطحية جدا. وأعيش منذ ذالك الحين وسط مجتمع جديد مختلف عن مجتمع ما قبل ٢٠١٣ على وجه الدقه، لقد أصبح لدي الآن أصدقاء ومعارف مختلفون وطبعا من دون شيء اسمه أهل أو أقارب، هكذا أعيش مبتور الماضي مغروس في الحاضر دون جذور وكأني أعيش حياة أخرى لا علاقة لها بالحياة السابقة.

منذ أسبوع في أحد المولات التجارية بينما كنت أنتظر مرّ بجانبي شخص يجر عربة تسوق، بالكاد أذكر ملامحه لم يكن صديقاً مقربا لكنه كان يحمل الكثير من صفات عالمي السابق، جمعتني به مدرسه ثانويه وتعرفت عليه قبل عام من انتهاء حياتي الأولى، لفت انتباه الرجل الغريب عيناي التي كانت تنظر إليه بشكل مريب فالتفتَ إليّ ثم عاد ليكمل طريقه لكننّي همست داخلي "توقف أنت تعرفني" وكأنّه توهم سماع شئ ما وسط تحديقي الغبي المتوسل بأن أعرفني أيها الغريب، أرجوك تعرّف علي، أنا أعرفك جيداً. وكأنّي ميتٌ وكأنه زائر من الأحياء

لكنه سارع بوضع نهاية للمشهد السخيف بأن قال ملاطفاً: "فرصة سعيدة" وتابع طريقه، ولأني تعودت ألا يتعرف عليّ الآخرين بعد غيابي عنهم لسنة أو أكثر، ربما بسبب تقلب مزاجي نزولاً وصعوداً كأسهم البورصة، أو لأنهم يريحهم ألا يتعرفوا عليّ، لم يفاجئني الأمر، بل تسمرت في مكاني أراقب بحياتي السابقة وهي تغادر المول.

في البيت كان طبيبي النفسي المتواجد دائما في غرفتي ينتظرني كالعادة، وما إن دخلت حتى بدأ بتوبيخي: لماذا فعلت ذالك يا غبي؟ لماذا ؟، ثم بدأ بالقاء محاضرة طويلة ومملة غادرت أثنائها مخيلتي نحو المطبخ لكي تقوم بطهي المكرونه مع التوابل الحارة، بعد دقائق عادت أذنيّ إلى الغرفة، كان الطبيب قد وصل أخيرا إلى تحليله بأنّي أعيش الماضي والمستقبل ناسياً الحاضر، حينها وقفت غاضباً وجررته من أذنه إلى المطبخ وحشوت رأسه ببعض النظريات عن الزمن وأقنعته بأنه لا وجود لشيء اسمه حاضر، هكذا كنت أفعل كلما أحرجني، وأحياناً أقنعه في الليلة ذاتها بعدة أمور متناقضة.

وكالعادة التزم الصمت وانزوى في زاوية الغرفة، وقال لي بنبرته التي تغلفها لمسة حزن معتادة: أمك درجة حرارتها مرتفعه للغايه وأعتقد أنها الآن في أمس الحاجه لمن يحضر لها الطعام والدواء، أغلق باب البلكونه ونم يا سيد أبراهيم"

لا أعرف كيف انتهى الحوار بتلميح عن الانتحار، أو هذا ما كنت أشعر به المهم أنه يحدث دوماً ولا أعلم لماذا وكيف، صحيح أنّي أفكر بالأمر بشكل اعتيادي وبلا دراما كما أفكر بأمي أو حبيبتي السابقة أو بطهي المكرونه مع التوابل الحارة على طريقة أمي، والأمر لا يدعو للحزن أو الخوف أو أي من تلك المشاعر السلبية، لكن ما يمنعني عنه هو أنّي أخاف أن يكون بعد الموت عدم أو حياة أخرى، أنا أريد إذ متّ أن أعود أنا نفسي وإلى حياتي بكل ما فيها فقط سأحاول تجنب بعض الأخطاء، لو أني أثق بذلك لانتحرت الآن، على كل حال اعرف أن هذا الكلام صار مبتذلاً وتافهاً، لكنه للأسف حقيقي.

والذي لا يعرفه الآخرون أن هذا التكرار السخيف هو طوق النجاة الوحيد، كم مرة بدلاً من الإمساك بحبوب البركينول أمسكت موبايلي وكتبت عن هذا، منتظراً أن يقول لي أحدهم لا تفعل ذلك على الرغم من يقيني التام أنه ليس هناك أحد. كل هذا كنت أناقشه أيضاً مع طبيبي النفسي قبل أن تستيقظ أمي وتبدأ بالصراخ المفاجئ والطلب مني أن أقابل طبيباً حقيقاً..لامشكلة سأفعل ذالك، "قلت لها"

في اليوم التالي، ذهبت إلى الطبيب، وبعد تعارف بسيط سألته بخجل: هل أنت طبيب حقيقي؟ أقصد هل يراك الآخرون مثلي؟هل تقفز من الشباك كما فعل أطباء غرفتي؟

ضحك الطبيب قليلا ثم سألني كم طبيب قفز من شباكك؟ فأجبته واحد فقط لكنه يكرر نفسه، آخر مرة كنت أراقبه كيف ينسلُّ من جسدي وهو ينهار، ثم صرخت أمراة في الشارع: قُذف الرجل من البلكونه، وعارضتها امرأة أخرى: لا لقد طار من النافذه، وقال آخر إنه ملقى هنا منذ ثلاثة أيام تدهسه عجلات السيارات وتلعق قلبه القطط. وهي ما زالت صامده مثل نبية لم تبوخني ولم تسأل عما حدث، فقط اكتفت بمسح الكحل كيلا يكون دليلاً على بكاءها، وبكفيها الحزينتين لملمت أشلاء الجثة المحطمة غير آبهه بظهرها المكسور وأنفاسها المضطربه، نظرت لعيناها المرتجفتين وقبل أن أبدأ في البكاء مباشرة انتبهت أن هاوية ما ابتلعت الطبيب والعيادة والشوارع المحيطة وأنَي ما زلت في المطبخ أحاول طهي المكرونه.

بعد دقائق تدخل أمي المطبخ غاضبة: أرجوك هذا يكفي عليك أن تزور طبيباً حقيقيا.. أخبرتها أنه ليس هناك ما يمنع بشرط أن تعلمني أولا الطريقة السحريه لطهي المكرونه مع التوابل الحاره.

***

(الخطيئة)

(١)

جلس سالم أمام شاشة الكمبيوتر. لم يفعل أي شئ، فقط أشعل سيجارة، ونظر إلى الشاشة، رجفة يده كفيلة بأن تخبرك بكل ما يدور في رأسه من تردد ممزوج بالخوف. بندول في رأسه يتأرجح بين عذاب الشك ولعنة المعرفة.

أطفأ السيجارة، واتخذ قراره بأن يقطع الشك باليقين، وفتح الموقع المشهور. لصفحته الرئيسية رهبة. أعلاها عين تنظر إليك. نظرة توحي إليك بأن صاحبها لا يخطئ، واسم الموقع الذي يؤكد الفكرة : "العين الأعلى" وأسفل العنوان شطر من قصيدة لنجيب سرور " واتبعوني، أنا أهوى العري والسرمحة " .. وأسفلها فراغات لملئ البيانات، وأسفل الفراغات بخط صغير: " من كان منكم بلا خطيئة، هو طفل لم يكمل عامه الأول."

نظر إلى الجملة وتمنى في سره أن يكون كاتبها مجرد مخبول، وبدأ بملئ بيانات زوجته في الفراغات، وضغط على زر الدخول.

---

(٢)

قبل ثلاثة أيام *

صاعدة على الدرج، ترتدي ملابس حجمها ضعف حجم جسدها النحيف، بمزيج من الأسود والبني، وقطرات العرق على وجهها بسبب الحجاب الذي ضاعف من حرارته. تسرع خطواتها في الصعود داعية ألا تقابل أحدًا من السكان. سمعت خطوات شخص ينزل فشعرت بضيق تعتقد أنها لن تشعر به إن علمت أن تلك خطوات ملاك الموت.

بدأ الحاج عبد الستار -الحاج عبدالستار لم يرَ الكعبة إلا في بعض الصور رغم حالته المادية الميسورة ولكنه الحاج عبدالستار- بمجرد أن نظر إلى وجهها على الدرج في ممارسة هوايته المفضلة بأن يتمتم :

- أستغفر الله العظيم وأعوذ بالله من غضب الله!

نظرت هي إلى الأرض ومارست أيضًا هوايتها المفضلة بأن تقاوم رغبتها في البكاء.

شهران وذلك كل ما تفعله دائمًا، تقاوم رغبتها في البكاء. تحاول الاستمرار على أمل أن ينسى الناس، ولكنهم لا ينسون. وكأنها

قضمت من شجرة الخلد. وكأنه ذنب لا يغتفر. وكأنهم ملائكة. شهران بعد أن نشر حبيبها السابق فيديو لهما معًا. منذ أن انتشر الفيديو وهي تتعرض لكل اضطهاد ممكن، بدءًا من تقليد أصوات تأوهاتها بمجرد أن تدخل إلى منطقتها الشعبية، مرورا بالاستغفارات بعد النظر إلى وجهها وكأن فرجها انتقل لأنفها، وصولًا إلى التحرش بها تمسكًا بمبدأ (أنا أولى من الغريب.)

وابتهال وحيدة والديها، اللذان قاطعاها منذ أن حدثت تلك الكارثة، ولكن سمح لها الأب بالبقاء في المنزل، سجنها الانفرادي، حيث إن تعاملهما معها انقطع كأنهما لا يرونها. تضع الأم طعام ابتهال على السفرة فتجلس أمامه وحيدة. تنظر للطعام مقاومة رغبتها في البكاء. تلعن ما يرونه خطيئتها الكبرى، وتلعن رغبتها. تتمنى الموت الهادئ. أو شجاعة الانتحار.

---

(٣)

قبل ثلاثة أيام

مسح سالم قطرات العرق على جبينه بظهر يده، فشعر بالضيق لأنه وجد أن ظهر يده أيضًا مبتل من الأساس. والحق أن هذا هو ما يفعله طوال حياته. يمسح عرقه بيده المبتلة.

ابتسم عندما خطرت له فكرة أنه إذا تحولت سيرته الذاتية إلى كتاب ستكون تلك جملته الافتتاحية. الوصف الأدق لحياته، حتى أنه اعتاد أن يفترض ليسدد ديونه.

دخل من بوابة المدرسة المحاطة بأسوار كأي سجن يحترم نفسه. المبنيان العشوائيان في المنتصف

يحيط بهما مساحات ترابية يفترض أنها لممارسة الرياضة. شعر بسعادة طفولية لكونه غير مقيد بين تلك الأسوار. بمجرد أن دخل المبنى وهرب من قبضة يد الأشعة الشمسية تذكر سبب وجوده هنا، استدعاء ولي الأمر. بالأمس جاءه استدعاء ولي أمر، وبعد ساعتين مع الابن لم يعرف سبب الاستدعاء، ولكنهم أكدوا على ضرورة وجوده هنا بسبب فعل غير اخلاقي ارتكبه الابن، ظل ساعة قبل النوم يخمن ماذا فعل الابن، بالطبع لم يسرق فمهما فعل تلك ليس من طباعه، وأيضًا لم ...

- عايز إيه يا أستاذ؟

قاطعت الموظفة أصواته الداخلية وكأنها بائع في متجر ملابس. والحق أن الموقف لا يختلف كثيرًا فهو لا يقف في مكتب، ولكنه أجابها :

- المدير، عايز مكتب مدير المدرسة.

- آخر أوضة على اليمين.

والتي كانت الغرفة الثالثة، يسبقها غرفة المعلمين. نظر من الخارج فلم تكن تختلف عن القهوة البلدي إلا أن القهوة ليست مليئة برفوف تغطيها طبقات من التراب. والغرفة الثانية مغلقة وكتب عليها من الخارج "حجرة الموسيقى"، دخل الى مكتب المدير والذي بالطبع لم يكن قهوة بلدي، بل كان "كافيتريا"!

على المكتب يجلس المدير، بصلعة وشارب ووجه صارم يليق برئيس مباحث، وأربعة أشخاص آخرين في أماكن مختلفة في الغرفة واثق بأن لهم مكاتبًا ومهامًا تركوها ليجلسوا هنا بصفتهم (رجالة المعلم)!

- السلام عليكم

رد المدير فقط:

- وعليكم السلام

- حضرتك بعتلي استدعاء ولي أمر

- والله مانا فاكر، اتفضل اقعد، ابنك اسمه إيه؟

- احمد سالم فاروق

فتدخل أحد (رجالة المعلم)

- آه ده بتاع الصور العريانة

شعر سالم بأن السقف يقترب من رأسه، وقبل أن ينظر للمتحدث تحدث المدير:

- ااه، لا بص أستاذ عادل يقولك بقى!

وأشار الى المتحدث الذي أكمل حديثه

- ماهو أنا اللي بدي تربية فنية في الفصل اللي فيه ابنك، إمبارح قولتلهم يرسموا رسمة عن الوحدة الوطنية وكله يوريني الرسمة، جيت عند ابنك بقى وانا بشوف الرسمة وبقوله حلوة، بقلب الصفحة لقيت رسمة تانية .. أستاذ جمال يوريهالك

فتح المدير درج مكتبه، وأخرج منه الورقة وأعطاها لسالم الذي وجه رأسه إلى الأرض عندما شعر أن سقف الغرفة اقترب أكثر

ولامس صلعته. نظر سالم إلى الرسمة، يتوسط الرسمة امرأة عارية تمامًا تقف على رمال شاطئ لا يوجد به إلا هي، وخطين من أشعة الشمس يمر أحدهما على رقبتها والأخر تحت نهديها وكأنهم يحيطان بنهديها.

- أحمد اللي رسم دي؟

سأل سالم، فأجابه الأستاذ عادل :

- أيوة، هو رسمه حلو بصراحة بس عايز شدّة، عيب وحرام يستغل موهبته في الكلام ده!

وأضاف المدير:

- قسمًا بالله من ساعة ما شوفت الصورة وأنا كنت ناوي أديله رفد ٣ أيام، بس لقيت حضرتك راجل محترم، انت بس شد عليه شوية زي ما أستاذ عادل بيقولك.

- شكرًا يا أستاذ .

- ربنا يهديه ويعمل اللي فيه الخير.

----

(٤)

"لو أن للوقت طاقة مثل طاقتي، تنتهي بعد فترة، لو أن الوقت يخضع، يستسلم، لو أنه كعجين صنعته الجدة، تشكله حسبما تريد، لو أنني أتحكم فيه، لقدمته سنة بعد كل كارثة حتى يكون تأثيرها اختفى، أو رجعت به للبداية وصححت كل شئ، أو لكنت أوقفته لبعض الوقت لأنعم ببعض الهدوء، متخلصًا من صوت دقات الساعة المستمر داخل رأسي."

هكذا كان يفكر أحمد سالم، الطفل الذي يشعر أنه ارتكب الخطيئة الكبرى، وليست كأي خطيئة كبرى؛ لقد تخطى كل قوانين الأسرة وقام برسم جسد عاري. هو يعلم أن أباه يعرف ما فعل، ويجلس منتظرًا عقابه. لكنه لم يكن يخشى العقاب بقدر ما يشعر بالخجل فالجنس في الأسرة يشبه الفيل في الغرفة، الجميع يعلم عنه، الجميع يراه، لا أحد يستطع اخراجه من الغرفة، ولهذا يتظاهر الجميع بأنه غير موجود، ولهذا تنفجر أجهزة الإنذار داخل عقول الجميع عند مشاهدة قُبلة في فيلم تشاهده الأسرة معًا، والآن بعدما رسم الابن ذلك الجسد العاري، فكأنه صعد على الفيل وأشار لجميع من في الغرفة إليه، ليتظاهر الجميع بأنهم تفاجؤوا بوجوده بينهم!

ولأن سالم كان يشعر بانهيار ما في داخله، وكأنه زرع في الأرض بذرة فاسدة، حاول أن يحافظ على الوضع مستقرًا. أشاح بوجهه كأنه لم يرَ الفيل، ولم يفاتح الابن في الموضوع، ولم يجرؤ الابن على السؤال. وبهذا استمر الحال على ما هو عليه. ولكن الجديد أن ذلك الحدث جلب للغرفة فيلًا جديدًا هو موهبة الابن الرسام، الذي تظاهر الجميع بعدم وجودها.

---

(٥)

في الليلة السابقة لذلك الحدث بدأ ينتشر الإعلان على مواقع التواصل الاجتماعي عن موقع يسمى العين الأعلى. عين تعلم كل شئ عن الجميع. فقط بإدخال بعض البيانات العادية لأي شخص يمكنك أن ترى خطيئته الكبرى، أو ربما خطاياه. بالطبع تم التعامل مع الأمر على أنه مزحة، ولكن قبل أن تشرق الشمس كان العين الأعلى هو الحدث الأهم في العالم. ولم يتم تسجيل حالة واحدة ينتهي بحثها بالعثور على لا شئ. دائما هناك شئ. رجل الدين الشهير بفيديو جنسي مع قاصر. الفنانة القديرة التي اعتزلت التمثيل لتدير منازل بيع الهوى. تسجيل لمسؤول كبير يأمر باغتيال مسؤول كبير آخر. ناهيك عن

الفيديوهات الجنسية المنحرفة لأكثر الفنانين المتحدثين عن الأخلاق والفن "النظيف". أصبح الكل يعلم أن الكل خاطئ. والأهم أن كل خاطئ أصبح يعلم أن الكل يعلم عن خطئه، ليتحول المجتمع بالكامل لمدينة من الموتى الأحياء. الكل يخشى النظر لغير الأرض. الانتصار الوحيد كان لأولئك الذين كانوا يفعلون ما يفعلون في العلن بلا أي اعتبار لنظرة المجتمع. انتصارهم كان ساحق لدرجة أن أحدًا لم يفكر في البحث عن شئ لهم. البحث معظمه كان عن رجال الدين والداعين للأخلاق ورجال الحكومة. كانت الأزمة أكبر من أي أزمة مضت. الجميع يخشى أن يبدأ في التحدث عن الأمر حتى لا يجد من يضع الفيديو الخاص به أمام عينيه. لا يجرؤ أحد على التحدث إلا هؤلاء الذين لم يخشوا يومًا الاعتراف بأخطائهم. بعضهم بدأ يشمت في المجتمع الذي نبذه يومًا ما. والبعض الآخر وجد في ذلك شئ إيجابي، أن يعلم الجميع أنه ليس بيننا قديسًا. وذات يوم سأل أحدهم سؤالا في غاية الأهمية على فيسبوك: "برغم كل تلك الفضائح، كيف لم نسمع عن حالة انتحار واحدة؟"

وكانت الاجابة التي تسببت في أهمية السؤال أصلًا أنه عندما يكون الانتحار بسبب فضيحة ما فذلك لأن المنتحر يخشى الناس وردود أفعالهم، ويعلم أنه بمجرد أن يفتضح أمره سيتم نبذه من مجتمع الملائكة ذلك، ولكن الآن بعدما أصبح الجميع يعلم

أن الجميع يخطئ اختفت أضرار الفضيحة من الاساس. والحق أنه بعد مرور بضع سنوات من ذلك الحدث كانت عبارة "فضيحة" قد اختفت تماما من اللغة وكأنها لم تكن.

كانت ابتهال من القلائل الذين استفادوا من الحدث. وهي المتعرضة للضرر الأكبر من رجمها بحجارة يرميها الخاطئين. فكان الأمر كأن حلم من أحلامها قد تحقق. لأول مرة تبتسم، ابتسامة مختلطة بدموع الانتصار. أكثر من ساعة في موقع العين الأعلى تشاهد روائع أهل منطقتها الملائكة الذين كان خطأها يشعرهم بأنها ستستنزل لعنةً للشارع. الآن في غرفتها تشاهد الحاج عبدالستار مع زوجة صديقه الحاج عطية صاحب الفرن يمارسان جنسًا مثيرًا للشفقة ولكنه أعظم ما رأت ابتهال في حياتها، وسعادتها بهذا الفيديو خصيصًا كان لسببين، الأول أنه للحاج عبد الستار جلادها الأول، والثاني لأنه فيديو واحد يمثل كارثة لثلاثة من جلادين المنطقة، ولكم رأتها زوجة الحاج عطية وتمتمت بأمثال عن "الجار السو"!

وعلى الرغم من أنها لم تفكر في البحث عن أي شئ يخص أسرتها إلا أنها عندما خرجت من غرفتها وجدتهم كالأشباح في ظلام الصالة؛ كل منهم يخشى النظر للآخر. لم تتحدث معهم ولم

يسألوها عن سبب خروجها في الواحدة بعد منتصف الليل. خرجت من باب الشقة بملابسها الواسعة المعتادة، وصعدت الطابق الأعلى حيث يسكن الحاج عبد الستار، كاد الباب أن ينكسر من ضربها عليه، إلى أن فتح الحاج عبدالستار بعين يملؤها النوم ليجد ابتهال أمامه واضعة أمام عينيه الموبايل ليجد نفسه في الفيديو بين أحضان زوجة صديق العمر. لم يجد الوقت الكافي لإبداء رد فعل لأنه تفاجأ بصفعة من يد ابتهال اليسرى ولكن بلا رد فعل منه أيضًا، لتتركه ابتهال وتنزل درجتين ثم تصعدهم مرة أخرى لتخبره:

- إتفو عليك راجل عرص.

ثم تنزل الدرج بينما يغلق هو الباب وكأنه يعلم أنه أخذ ما يستحق.

لم يكن ما وجده سالم في سجل زوجته هو خيانة زوجية مباشرة، ولكنه وجد بعض العلاقات الجنسية غير الكاملة قبل الزواج. حتى تلك اللحظة كان يقتنع أنه يعلم عنها كل شئ، شعر أن حياته تحطمت. كل ما كان يدور في رأسه هو أن فلانًا الآن يشاهد تلك الفيديوهات لزوجته. رؤيتها تتلوى جعله يشعر أن تلك التي بالداخل هي الشيطان بذاته، فأول ما فعل كان

التقاط أول سكين أمامه، متجهًا اليها في ظلام الشقة. هي في السرير تتظاهر بالنوم ولكنه يعلم أنها مستيقظة؛ من ينام في مثل تلك الليلة؟ كل ما كان يريده هو التخلص منها. ذلك هو الخلاص الأبدي. وفي الطريق إلى غرفته وجد الضوء الخارج من غرفة الابن، أول ما جاء في باله أنه يشاهد الأن خطيئة.

***

(الإنفصال)

١- الانفصال

"مش هكتب اي تواريخ ، ممكن عشان فقدت الاحساس بالزمن، مش عارف ..

بس اليوم اللي هتكلم عنه دلوقتي فعلا مش عارف امتى .. مكنتش واعي وقتها ، ممكن نسميه يوم الانفصال ، انفصال اهلي ..

أمي ست متعلمة وابويا كمان متعلم .. بس راجل غريب ، اسمه عزيز .. - كان المفروض يكون اسمه شديد او عبد القوي او عبد الجبار .. اسم يليق على شخصيته - سبب الانفصال غريب او مش منطقي من ناحية ابويا ، قرر فجأة يتجوز على أمي ومن غير ما ياخد رايها اتجوز فعلا وجابها تعيش معانا ، رفض أمي كان طبيعي .. مش بس لأنه اتجوز عليها .. كمان لأنه طلب منها تعاملها بأحترام وتنفذ طلباتها ، ازاي ؟ دي ست جاهلة مش متعلمة زي أمي ، ومافيهاش اي شئ زيادة عنها - دي اقل منها - الانجار الوحيد ليها هو اختيار ابويا ليها ، كمان

ده مش بأرادتها ، كل ده اتحكالي من ابويا ، انا أخر شئ في ذاكرتي مافيهوش مراة ابويا اصلا .. مشوفتهاش ، كمان حكالي ان يوم جوازه منها طلبت امي الطلاق .. ووافق وطلقها وطردها .. لما بفكر في الموضوع بلاقي أمي ملهاش ذنب .. ابويا بيفضل يكرهني فيها .. بس انا شايف ان ملهاش ذنب ، زي مراة ابويا .. بردو ملهاش ذنب .. اختيار ابويا ليها ذنبه مش ذنبها .. رفض امي انها تكون اقل من مراة ابويا مش ذنب ده حقها ، انا كمان مليش ذنب ، مليش ذنب في الاتفاق اللي ابويا اتفقه معايا ، او بمعنى اصح ، فرضه عليا .

---

٢ - " الاتفاق "

كانت اخر سنة في الدراسة ، في بداية السنة جابني انا واختي ، وقعدنا يتكلم معانا

- تعرفوا اني عندي ورث ؟

- ورث ايه ؟

- هو مش ورث اوي ، هو ملكي من البداية .. عندي فلوس كتير وقصر

- قصر ؟ عندك قصر وموافق ان امي تعيش في الشارع ؟

قالتها اختي ، دايما بحس انها بتكرهه ، مقتنعة انه ظلم أمي فعلا ..

رد عليها

- أمك هي اللي اختارت

- اختارت ايه ؟ انت عمرك ما سيبت حد يختار ، انت حطيت قدامها اختيار واحد بس ، ده اسمه اجبار

انفعالها الغير مبرر دليل انها بتفكر في الموضوع كتير ، بس هو انفعل

- يوووه لو مش عاجبك ممكن تغوري تدوري عليها وتعيشي معاها ، او تسكتي وتكوني مؤدبة زي "أنس" اخوكي

أنس أنا ، هو لو يعرف كان قال خليكي جبانة زي أنس اخوكي ، بس انا فعلا مش فاهم ، او مجبر ، امي عندها حق ، بس العيشة معاها صعبة

- فلوسي انا قاصد متشوهاش ، انا اقدر اعيشكوا في مستوى احسن من ده ، عيشة ماشوفتوهاش ولا سمعتوا عنها ، بس أنا عارف مصلحتكوا ، هتبوظوا وتأذوا نفسكوا زي مراتي

قولتله بأستغراب

- انت عيشت مراتك في القصر ؟

- وامكوا كمان عاشت في القصر ، لحد يوم طلاقنا ، وبعدها مراتي التانية عاشت فيه سنة ، كنتوا لسة مولودين ، لما حسيت انها - مراتي التانية - بدأت تتغر ، اشتريت البيت ده ، وحلفت ما نروحش القصر غير لما اتأكد انكوا مش هتعملوا زيها

- تتأكد ازاي ؟

- السنة دي أخر سنة ليكوا صح ؟

- صح

- الاختيار في ايدكوا ، اللي ينجح هاخده ونعيش في القصر ،

- واللي مينجحش هتسيبه هنا ؟

- اللي مينجحش هيكمل حياته في الاوضة الضلمة المقفولة .. اتفقنا ؟

بصينا لبعض باستغراب

- سواء وافقتوا ولا لأ .. السنة الدراسية بدأت .. شدوا حيلكوا عشان تنجحوا ونروح القصر ، او عشان متتحبسوش في الاوضة.

---

٣ - " السنة الدراسية "

انا ماليش ذنب في كل ده ، طول السنة بعافر عشان انجح ، مش عارف يوم مايشوف نتيجتي هيعمل ايه ، مش ذنبي اني اتفاجئت ان امي شغالة في المدرسة عاملة نضافة ، جت كلمتني ، قالتلي مفيش قصر ، قالتلي ابوك موهوم ، حتى الباب المقفول ده وراه جدار ، اختي صدقتها ، ومدخلتش الامتحانات ، وانا فضلت طول السنة احاول اذاكر ، أمي لهتني عن المذاكرة ، وانا شايف حياة أختتي بتتصلح ، سابت البيت وعاشت لوحدها وسابت الدراسة ، وانا محبوس ، لو كل ده وهم هيبقى اتفرض عليا اتفاق نتيجته مش موجودة ، حتى المدرسة صعبة ، انا تايه، وخايف من النتيجة .

***

(رجل تم الأربعين)

كنت في فترة الخروج من حياة ماشية في خط، أو ممكن تقول دايرة صغيرة، كنت بلف في دايرة فاضية، ٢١ سنة بلف في دايرة مفيهاش مخرج ياخدني لشكل تاني، ٢١ سنة جري على طريق من غير مطب يخبطني في سقف العربية، ماشي على طريق مفيهوش عربية غيري أصلا، وراكب عربية مفيهاش حد غيري، وحدة تليق بواحد بيدور على معنى، بس حتى المعنى مكنتش بدور عليه، يومها كنت بسمع أم كلثوم بتقوله أغدا القاك ؟ كنت بحسدها وبحسده ان بكرة بيمثل ليهم حاجة، وان عندهم حاجة بكرة ينسوها ولا يأسوا على ماض تولى، انا معنديش حاجة انساها، ومعنديش حاجة استناها، بس اضطريت انزل قبل ما الاغنية تخلص

كنت بوصل فلوس من ابويا لشخص ما لسبب ما مش فاكره، بس كان مبلغ يليق بانه يتحط في كيس، ضحكت لما جه في بالي اني بدندن أغدا ألقاك للراجل اللي هياخد مني الفلوس، واني عندي حاجة استناها، بس استنيته كتير، واتخضيت او ابتسمت

لما سمعت الأغنية جاية من قهوة، دخلت استناه وبالمرة أسمعها..

قعدت وطلبت القهوة، وأم كلثوم بتسأله (أغدا تشرق اضواؤك في ليل عيوني؟) وانا بتصل باللي هياخد الفلوس اعرف امتى هتشرق اضواء الفيرنا بتاعته في ليل عيوني ؟ قال انه هيتأخر ..

لما أم كلثوم قالت (كم أناديك وفي لحني حنين ودعاء) عيني جت عليها، كانت بصالي ومبتسمة بس، ممكن ميكونش أرق منظر لبنت تشوفه وهي في ايدها شيشة، حتى مش سجارة، لأ معسل كان في ايدها كأنه كمانجا، ولسة مبتسمة بردو، وأم كلثوم بتكرر (أنت يا قبلة روحي وانطلاقي وشجوني)، حركت شفايفها مع الأغنية، وانا كنت خرجت من الدايرة، المطبات كانت ورا بعض وكل النظام والروتين راح، لحد ما هي حاسبت ولسة بصالي، ضحكتلي وخرجت، ضحكة لو ضحكتها ماري انطوانيت للناس مكانتش المقصلة نزلت على رقبتها..

خرجت هي من القهوة وانا لسة مكاني مش شايف غيرها من ضهرها ومش سامع غير أم كلثوم (أه من فرحة أحلامي ومن خوف ظنوني) مجرد ما اختفت عن نظري قررت أقوم وراها، قومت بسرعة، جريت لأخر الشارع وصوت أم كلثوم بيبعد، ومش لاقيها، معرفتش دخلت يمين ولا شمال بس في الاتجاهين

ملهاش أثر، وصوت أم كلثوم اختفى، لما سندت على عربية بإيدي واتلسعت خدت بالي من ان الشمس جامدة، معرفش ازاي وسط الدخان في القهوة مكنتش حاسس بالحر ده، يمكن علشان كانت موجودة، وخدت بالي من العرق اللي مغرق وشي والزحمة وصوت الست اللي كانت بتفاصل مع بياع ومن اني قومت من القهوة من غير ما احاسب وان الراجل اللي هياخد الكيس اتأخر، وملقيتش الكيس في ايدي، سبته في القهوة لما قومت جري وراها، لما قربت مخدتش بالي ام كلثوم بتقول ايه بس كان صوتها مزعج، ودخلت القهوة.. وملقيتش الكيس عالترابيزة، سألت القهوجي، بس رد قالي: (كيس ايه يا أستاذ مشوفتش كياس أنا، المهم في قهوة حضرتك شربتها ومحاسبتش عليها)

***

(حب وبتاع)

في شهر نوفمبر وذلك الشتاء الجميل ، وكان يوم الاربعاء ، جلس على تلك القهوه الصاخبه المليئه بالموظفين يشربون قهوة الصباح ، جلس مع اصدقاءه كالعاده ، كانت تجلس فتاه لم يرها من قبل هذه المره الإولى التي تجلس معهم ، كانت جميله في عينه، كانت ذات شعر قصير بإطراف بنفسجيه .، تبادلا النظرات في أول مره ، في المره الثانيه تكلم معها لم يتكلما كثيراً اعُجب بها لكنه أخفى إعجابه بها ، هكذا كانت حياته يُخفي مشاعره ، توالت الأيام والشهور ، أصبحا صديقين مقربين (أحبها) كان يمشي معها في أجمل شوارع المدينه تلك الشوارع ألتي يمشي فيها كل يوم لكنه نسي معالم تلك الشوارع فقط لأنها كانت معه ، كل يوم كان يعيشه معها كان بمثابه حياه أخرى لم يعيشها من قبل ،لم يجد الفرصه بأن يخبرها عن حبه بعد ماعرف أنها مرتبطه بذلك الشاب ألذي لا يعرف أسمه عرفه من صديقتها ، لم يرد أن يبتعد عنها ، حاول نسيان حبه لها لكنه لم يستطع وفي نفس الوقت لم يبتعد عنها وكيف ذلك وهي تمتلك قلبه والسبب ألذي يمد قلبه بالحياه ألذي تجعله على قيدها ،

فما أسوء لعنات الحب ألتي تمزق روحك فا ياليت لقلبك أبواب تفتحها وتغلقها متى تريد .، وكانت الصدفه الجميله ، إكتشف أن علاقتها بذلك الشاب قد إنتهت ، كانت هذه الفرصه ليخبرها بعشقه لها ... إنتظرها لتأتي لكنها لم تأتي ذلك اليوم ، لم ينم وكله تفكير بها وكان هذا الخليط من الخوف والسعاده تحت ضوء القمر في تلك الشرفه ألذي يجلس فيها ليلاً على أنغام تلك الموسيقى ألتي أولها حب وغرام وأخرها هجرٌ وإشتياق صباح اليوم التالي ، كان ينتظرها رأها قلبه من بعيد هاهي هناك كانت مسرعه ، إقترب إليها عانقته بشده كان غير عناق كل مره، أحبك أحبك نفسك الكلمه ونفس الزفير بعد قولها ، إستمر العناق كثيراً كان الناس ينظرون إليهم بغرابه ... لا يعرفون أنها أرواح كانت بعيده ثم تلاقت نعم أجساد قريبه لكن أرواح تحاول العناق جلسوا على الرصيف ينظرون إلى تلك الشرفه المليئه بالأزهار الجميله كانت تذكرهم بأول لقاء لهم ، أمسك بيديها وأخذها ليتمشوا قليلاً وقفوا على ذلك السور الحديدى المطل على ذلك النهر الجميل كانت تنظر إلى المياه وهو ينظر إلى ذلك البريق في عينيها الملئ بالسعاده وحبها لذلك المكان أشعلا السجائر وضحكاتهم العاليه وهم ينظرون للناس ولا يبالون ، اللعنه على المجتمع هم الأن لديهم عالمهم الخاص بهم ... عالم ملئ بالأزهار الزرقاء ألتي تحبها كثيراً ... وتلك الموسيقى ألتي كانوا يسمعونها في الشارع ، كانوا يرقصون عليها ، وذلك

الشعور ألتي تشعر وكأنك خلقت لتكون سعيداً ، نعم نسيت كل ألذي مضى في حياتك نعيش ما دُمنا نُحب ونحب مادُمنا نعيش في يوم ما قابلها كالعاده ... قالت له يجب أن نكون صديقين وهذا الأفضل فإن لكل علاقه حب نهايه حزينه .... إلخ كل هذه الكلمات تختبئ وراء سأعود لصديقي السابق لم يستطع أن يقول شيئاً هل أنت بخير ؟ نعم بخير .. قالها وبداخله ألم في قلبه لم يشعر به إلا مره واحده عندما توفت أُمه ، لكن هذه المره ماتت روحه ولا عزاء على قلب قد مات .. يأخذون منك كل شئ ثم يرحلون في صمت منذ تلك اللحظه لم يرها ، إفتقدها كثيراً يريد أن يراها ليضمها إليه ... يلوح لها من بعيد لكي تعود وفي قلبه بعض الأمل ألذي ينبض به كل دقيقه في غيابها يفتقد ذلك الشعر القصير وتلك الإبتسامه ألتي كانت تأخذ روحه بعيداً ، يتذكر تلك الموسيقى وتلك الرقصه كان يحبها جداً مازال يحبها يجلس في شرفته ينظر إلى السماء المليئه بالنجوم ، حتى بروده هذا الليل أقرب منك عزيزتي هذا الحب نبنيه معاً فيسقط ثم نبنيه مره أخره فنسقط نحن لم أعد شجاعاً ياصديق أنا مكسور بالكامل لقد كسروني .

***

(ريكيافيك)

صديقنا في هذه الحكاية وسنمنحه لقب صديق لأنه أكد لي من البداية أنه لا يريد أن يكون بطلًا.. لأنه يرى أنه لا يمتلك أية مقومات تجعله بطلًا في عيون الجميع، وفي مقدمتهم هو، لذا أصر وألح وشدد على أن أمنحه لقبا آخر، ومن ثم أننا اتفقنا سويا على أن يكون صديقًا، بعدما كشف لي وهو يتجرع كأسه الأخير قبل أن يغادر دون إلقاء التحية، أنه لم يكن يومًا صديقًا لأحد.. حتى نفسه كان غريبًا عنها!

قبل ٣ ساعات من شروعي في كتابة حكاية صديقي الجديد القديم هذا، كنت وحيدًا، مثله، ترافقني ٣ مقاعد خاوية، وزجاجة نبيذ يتلألأ فيها الأحمر بفحشٍ يناسب الكأس اللامع الذي وضعه الجرسون أمامي، متمنيًا لي ليلة هادئة وسعيدة..!

كأس أقل لمعانًا.. ودون أن يلقي جملته المعدنية فاقدة الحياة "شرفتنا يا باشا"، وضعه الجرسون على طاولة مقابلة لطاولتي.. ظننته في البداية أحد عمال المكان، فلا يمكن أن يُعامل زبون بجفاء غريب مثل الذي رأيته في الثواني الماضية.. في الأربعين من

عمره، قدرت سنواته من نظرته المنكسرة تلك، فالأربعون دومًا تكون أعوام الانكسار والندم والوحدة في غالبية الأوقات.

الأربعيني.. لم يكن قريب الشبه بي، وإن كُنا نتشارك نظرة الانكسار ذاتها، لكنه كان طويلًا بعض الشيء.. لونه يميل إلى الأسمر بحدة مقبولة وممتعة، أسود العينين.. معتدلتا السواد، لا يمتلك شاربًا فجًا كشارب أبي.. عروق ذراعه واضحة حادة بشكل مثير.. كان -وللمصادفة- متطابقًا مع من كنت أحلم أن أكونه يومًا.

بتجاهل أكبر تعامل الأربعيني مع وقاحة الجرسون، أزاح الكأس نصف اللامعة جانبًا.. منح الزجاجة قبلة طويلة قضى خلالها على منتصفها، ووضعها بهدوء يناسبه على الطاولة.. أصابعه أصابتها حمى الارتعاش بعد قُبلة الكُحل الطويلة، ففشل في إشعال سيجارته السابعة.. بنظرة خاطفة أحصيت ٦ فلترات في منفضة السجائر الخشبية، فعرفت أنها الضحية السابعة، فلترات هادئة.. راقدة بما يليق بمحارب أنهى معركته الأخيرة واستراح.

البارات.. داخلها تكون مساحة التعارف ممتدة، لا مكان هنا للصمت.. الجميع يأتون بحثًا عن غرباء يتحدثون إليهم في لحظات "نصف واعية".. يضحكون بكل ما يمتلكون من قوة تصلح للضحك.. ويبكون كما يجب أن يكون البكاء.. البارات..

أحسبها دومًا أرضا دافئة تصلح لزراعة بذور الحكي.. الحزن.. والخيبة.

أخبرني أنه كان وحيدًا.. وأنه صاحب الرقم ثلاثة في عائلة أنجبت ستة أولاد، وأنثى وحيدة، ماتت في السابعة من عمرها بداء الحصبة.. برر وحدته، وهو يزيح الزجاجة الفارغة من أمامه، بأنه لم يكن شبيهًا بمن له إخوة، كان وحيدًا منذ اللحظة الأولى، منحته وحدته تلك خوفًا من كل الأشياء.. كان يخاف من الظلام.. الأدوار العليا.. الأماكن المغلقة.. الغرباء.. النساء دون العشرين، وفوق الخمسين.. الأحضان الدافئة.. الملامسة.. المداعبة.. كان يخاف من العالم.

تأملته بينما كان يلقي الفلتر السابع محترقًا حتى النهاية في منفضة السجائر.. عجوزًا إلى حد الكهولة كان.. لا تبرق عيناه بأي أمل.. ميتة كانت، لم تكن بالقطع تدعي الموت، الأصابع الخمسة المرتعشة، يائسة.. لا تحاول الخروج عن دائرة الطاولة.. حدود صاحبها، تكتفي بالارتعاش إلى حد ما، ثم تمسك بحدة لا تليق بـ"ضعفها" بالفلتر الثامن تتأمل شعلة لهب خرجت من "ولاعتي" محاولًا مد خط الحكي إلى أبعد مدى.

٣ دقائق.. تركني خلالها وحيدًا على طاولته التي انتقلت إليها بدعوة غير صريحة من صاحبها.. الذهاب إلى الحمام يستغرق

أكثر من الدقائق الثلاث، أفعلها أنا في خمس، لكنه لم يحتمل "الزنقة" ففعلها على نفسه، مكتفيًا بإزالة آثار العار بمنديل قطني مبلل، وجلس دون أن يحاول مداراة البقع الكبيرة التي تربعت بين فخذيه بوقاحة.

"أول مرة عملتها على نفسي، ما زلت أذكرها.. غضب أبي كثيراً.. غير أن أمي منحتني ليلتها حكاية سعيدة.. وحُضنا أكثر دفئًا من بقية الأحضان التي توزعها على أشقائي الغير موجودين.. ورقدت - محتضنة إياي- حتى الصباح.. لم أنم ليلتها.. لا تزال رائحة عرق أمي في أنفي.. لا تزال أصابعها الخمسة اللينة تعبث بشعر رأسي.. أغمضت ليلتها عينيّ.. شممت رائحة أمي.. احتفظت بها.. وتكورت جنينًا في حضنها ومن يومها لم أفلت من لعنة التكور هذه."

"كنت وسيمًا جدًّا في عيني أمي.. وغبيًّا دميم الوجه في نظر البقية.. أخبرتني جدتي لأبي أنني لا أشبه أحدًا من العائلة.. ليلتها سألت أمي: أنا شبيه بمن يا أم؟!.. لم تفكر كثيرًا.. ضربت روحي بكف إجابتها.. وقالت : أنت شبيه بك.. يكفيك هذا روعة. أه.. كم هي جميلة أمي.. وكم هي ملعونة المسافات التي مازلت تفصلنا.

إنه الأربعاء.. الطاولات المهجورة منحتني وصديقي الأربعيني مساحة أكبر للحكي.. بلا تطفل من عشريني يحاول إثبات رجولته لفتاته.. وستيني يتذكر ما مضى.. وخمسينية تحاول اصطياد زبون يعاني من ضعف في النظر، يسدد فاتورتها، دون أن يطالبها بما لم تعد تملكه.

تركته بعد السيجارة التاسعة.. لم أستطع مواجهة نظراته أكثر من هذا.. منحت الجرسون حساب مشروباتي.. وجدته يقف إلى جواري.. ألقي مترنحًا بأموال في يد الجرسون.. كان حسابه كحسابي.

"صدفة لا أكثر".. تمتمت بها وأنا أعطي ظهري لباب المصعد.. نظرت في المرآة.. واجهني ظهره.. لم أدرك أنه يرافقني في رحلة النزول.. أظنه أصبح قصيرًا بعض الشيء.. اقترب من محاذاتي.. لحظتها تذكرت الجملة الغبية في زوايا المرايا "مقاسات وبُعد الصورة في المرآة غير حقيقية".. ابتسمت.

لاحقني في الممر المؤدي إلى الباب الخارجي.. اعتدت الخروج وحيدًا من أبواب البارات.. لهذا لم أعطه الاهتمام المناسب.. تغيرت هيئته كثيرًا.. أصبح منحنيًا بدرجة مخيفة وهو يتبع خطواتي.. أقدامه أصابها التواء غريب، لكنه يصر على ملاحقتي.. خطواته تتقارب.. أسمع وقع أنفاسه.. لاهثة كانت.. ملوثة

برائحة الكحول.. وليت منه فرارًا بالقفز في أول تاكسي يقف أمامي.

غريب.. يبدو أنني لا أزال أسيرًا لتأثير الكحول.. رفيقي في الطاولة.. المصعد.. الممر.. ألمح وجهه منعكسًا على زجاج شباك التاكسي.. شاحبًا إلى درجة مخيفة كان.. ملامحه تتغير.. تتبدل.. في الإشارات المضيئة يصبح أكثر احمرارًا.. وفي الزوايا المظلمة يختفي.. ليعود بلون آخر فى الشوارع نصف المضيئة.. أصبح وجهه أكثر دموية والتاكسي يجتاز ميدان التحرير.. غير أنه سرعان ما اختفى مرة أخرى.. وعاد للظهور.. لم أقدر على تجاهله.. فتابعته مضطرًا... خمس دقائق وأصل.. لا مانع إذن من رؤيته.. "سينتهي الأمر قريبًا".. رددتها بين نفسي لأمنحها – وأمنحني- لحظات هدوء.

الآن.. أجلس أكتب قصته.. مجددًا.. وجهه يطالعني منعكسًا على زجاج النافذة أمامي، لكنه هذه المرة كان طيبًا.. أكثر طيبة.. غير منتبه لوجودي.. منحنيًا على جهاز كمبيوتر قريب الشبه بالجهاز الذي أنقر على أزراره كلمات قصته.. ممسكًا بسيجارته العاشرة بيد مرتعشة لا تزال تمتلك القوة لخنق الفلتر الأصفر.. يبدو أنه هو الآخر يكتب قصتي.

***

الجزء الثاني

(الخواطر)

(1)

أنا أبراهيم، عمري ربع قرن إلا عامين وفي كل عام من عمري تختبئ طعنات الوحدة ، أحاول ان أشارك الجميع ما يخطر في بالي والجميع يقدمون الشتائم لي بالمثل ، لا أتوقف ابداً عن البحث عن من يستطيع فهمي ببساطه وكل ما أعثر عليه هو سوء التفاهم ، لذلك تعلمت ان لا أحد سوف يفهمك إلا أذا أراد ان يسيء فهمك ، كنت أحب الرسم جداً وأحب ان الون كل ما هو حولي بأي لون تشتهيه عيني ، ولكنني ولسوء الحظ لم أستطع إلا ان الون في النهاية سوى جدران السجن الذي وضعني فيه العالم ، غرفة صغيرة في منزل كبير في مدينة صاخبه ، قررت أن أصرف معظم وقتي في صناعة طريقة تفكير تليق بالمأزق الذي وضعت به ، فحصنت نفسي بالتعليقات التهكمية وقتلت أرتباكات يدي بكل أنواع السجائر المصنوعه يدوياً ، ثم غلفت تقلصات وجهي اللا أرادية بالأبتسامات المكبوتة التي تخبر المحيطين بي بأنني اسامح ولا أنسى الاذية ، فكررت أخطائي بقدر ما كرر المحيطين بي أخطائهم معي ، أسئت لأمي كثيراً ولطالما حاولت تحويل كل قناعاتها إلى مجرد أقاويل قابلة

للمزايده ، كثيراً ما كانت تلاحقني بأتصالاتها ليلاً ، أو في ساعات الصباح الأولى حين أتاخر ودوماً ما كنت أتهرب لأنني أريد ان أخبرها بشكل غير مباشر أنني قادر ان اكون وحيداً دون أن اتألم ، واليوم وبعد ما وئدتني كل أحضان الأصدقاء لأنني جاف وممتلئ بالسوداوية والرغبة الملحة جداً في تشويه أي صورة ناصعة ، صورة عائلية صورة أصدقاء صورة تذكارية ، لم يعد أحد يحاول ان يقترب مني وبقيت أمي الوحيدة التي تحيط بي وتخبرني بأستمرار بانني الأفضل على الأطلاق ، كل من حولي حولني لما يخشاه هو في نفسه ، حين أتحدث ينتظر الجميع فواصل حديثي ليرموا تعليقاتهم الجارحة وحين أتوقف يتأمل الجميع جسدي ليدركوا ببساطة الخلل المطبعي في صناعتي وحين أضحك يعد الجميع أسناني المشوهة ويخبرونني بأن ضحكتي مملة ومكررة ومبتذلة ، واليوم أنا لا أضحك إلا عندما أكون وحدي وكثيراً ما أضحك قبل النوم ، وأحياناً تخبرني أمي أنني اضحك وأنا نائم "الأنسان يفعل في نومه دوماً ما يخاف من فعله امام الناس" كل من أعرفه يبحث عن دولة تستقبل ذكائه وأنجازاته العلمية وأهله يستميتون لتقديم كل اموالهم التي سرقوها من جيوب الفقراء ليغرقون العالم بالمزيد من اللصوص ، إما أمي فهي لم تسرق شئ سوى ضحكتها التي تقدمها لي حين تشعر بأنني خائف من الغد و براءتها التي سرقتها من أيدي الزمن كلما حاول جاهداً ان يخط الألم في

وجهها على هيئة تجاعيد وحين أقول لها أنني أريد السفر مثل الجميع تقدم لي كل ما سرقته مساومتاً على بقائي ، لطالما ظن الجميع بأنني سيئ وأضمر لهم السوء ، ولكنني مندهش كيف أستاطعوا ان يروا أنعكاس أنفسهم على ملامح وجهي وهم يخطئون حتى لفظ أسمي ، كل ما أقتربت من أحد اسارع باخباره بأنني هادئ ولطيف لا أكن له حقد أو كراهيه ، يهز لي راسه ويخرج من جيبه أصبع ديناميت ويزرعه في فمي ويقول لي "احتفظ بالباقي" وبأعتبار الجميع قد زرعوا المتفجرات في فمي ، فمن الخطأ ان يتوقع أحد مني ان أمر في اي شارع دون ان أحدث به كارثة *

(2)

هي لم تسلبُ مني شيئًا، لم أجلبُ لها زهورًا يوما ما، ولم أشتري لها عطرًا، ولم أهديها كتابًا قط، ولم أشاركها قهوةً، لم تسلب مني شيئًا أبدًا لكنّها سلبت قلبي، وهذا أعظم ما يسلبُ الإنسان من الإنسان..

(3)

منذ كنت صغيراً كان الجميع يعاملني بقسوة، بما فيهم أبي وفي لحظات كثيرة كنت أتلقى الصفعات،ربما كان يعرف أنني بحاجة للكثير من التهذيب، فلم يرى يوماً بي سوى كتلة من اللحم والدم قادرة على أطلاق الترهات، لم يكن يطيق سماعي بقدر ماكان يمقت سماع نفسه يتكلم، فخضنا سوياً سنوات من الصمت إلى الحد الذي أكل الصمت أبي، وأفترقنا، في الحقيقه كانت أقوى الصفعات.حاولت الفرار بنفسي خارج سور المنزل، أنطلقت حيث يقطن الهائمون في نكسة الروح و أرتجافات المعنى، حيث يجلس الحشاشون ايضاً، أقلها لم يكونوا يصفعون احداً إلا أنفسهم الهالكة. عثرت في نزواتهم على الكثير من المعاني التي أرصع بها تاجي الوهمي وفي ضحكاتهم الطويلة مسحت طفولتي الصامتة ، ورحت امشي حاملاً تاجي الوهمي في كل شوارع المدينة باحثاً عن اتباعي ، عن الرعية ، تلك ذاتها التي كانت تردد الشعارات حينما يتجمع الملايين من الحمقى في الساحات.لم يتبعني أحد ، ولم يفكر في تقمص ذاتي شخص قط ، فقررت ان أستمر في الدوران في ذات المتاهة ، فلم ينفك

صاحب المتاهة يشيد لي الجدران تحت جمجمتي ، وقد أقتنعت انه لامجال من تحطيم هذه الجدران وربما من المستحيل تماماً معرفة ماذا يدور ورائها ، فهي تنخر رأسي ، تنخر رأسي فقط ..اليوم كل ما اعرفه ، انني بحاجة للمزيد من الصفعات ، بحاجة للكثير من الذين قادرون على نطق الأحرف الملتهبة بحرارة المعنى وسخط الحقيقة على ما يدور من نفاق أعتقد انه تحول الى أدمان ، هذا الشعور الجنوني الذي يحاصرك ميتاً لا محالة من شدة الحكة في راسك حتى ترتوي من سرعة الصفعة وقوة الصدمة،أنه هو. كل ما عرفت انسان في هذه المدينة المهشمة ابتدأ بأطلاق الألقاب علي أنا، القاب منها ما يعرفها ومنها ما أستطاع تمييز معناها، ولكنها الوحيدة المتاحة في قاموسه وهاهو يستخدمها ضدي في كل المحادثات، أنها المزيد من الصفعات.أخذت اغراضي وقررت الرحيل،حيث لا مدينة تتسع لصوتي ولا شوارع تفتش عن تاجيلي والمتاهة التي تدور في راسي وتبدل جدرانها كل ليلة باتت جزء من المعجزة الكبري التي منحني أياها أبي. إلى كل من يبحث عن مساحة يلقي بها بظله الثقيل، فأنا ما زلت في حاجة للصفعات، فلا صفعة اليوم قادرة على أيقاظي من هذا السبات.

(4)

عند ولادتي ، كان جسدي صغيرًا جدًا بطريقة مُلفتة الأمر الذي جعل كل مَن ينظر إليَّ يتساءل: كيف يتنفس هذا ؟!

لم يلبثوا إلى أن قال الطبيب: إنه يعاني مشكلة في التنفس ، وقد تستمر سنوات !

قضيت نصف طفولتي أُحارب برئتين مُجهدتين لأخذ بعض الأكسچين " الذي هو حقي "من العالم ..

حتى الآن لم يتوقف جسدي عن خوض تلك الحرب وإن أُضيف إليها المزيد ، كضغطٍ غير مُنتظم أو ضربات قلبٍ مضطربة ، لكنني لم أستسلم أبدًا في محاولات اِلتقاط أنفاسي ..

لذا فالحروب ليست جديدة علي " حرفيًا " أعرفها منذ خُلقت ، وأعرف عن حربك ضد نفسك ..

عزيزتى .. وكل ما لديّ..

في حياتنا ما يكفي من المغامرات والإثارة ، أنتِ تركضين من وحدتك طوال الوقت ، تُخبئين إشارات حُزنك عن كل مَن يحاول الاقتراب منكٍ ، لا تُفصحِ عن تعبك وتتحاملِ على قلبك إن عَلت نغزة فيه.. أنا أعرف كل هذا ، لكن هناك ما لا تعرفيه انتِ ..

أنتِ لا تحتاجِ أن تصرخِ بتعبك معي ، ولا تحتاجِ أن تخبرينى عن عدم قدرتك على التأقلم ، ولا تحتاجِ أن تكتبِ إليّ عن حزنك كل ليلة ..

ربما لا يزال جسدي صغيرًا ، لكن قدرتي على خوض الحروب باتت أكبر من ذي قبل .. دعِني أُمسك يدك وأشدّ عليها بكل قوتي ، ضعِ قلبك بين راحتَيَّ وأنت على يقينٍ أنه بأمان ..

يكفي ما تخوضيه من حروبٍ تجاه العالم ، اتركِ لي ظلامك ، أنا سأتكفّل به ..

أنا هنا لأجلك ..

(5)

جلدي البارد، الغربة المخبئة تحت جلدي البارد، قميص الصوف الذي نسجته لي جدتي وغطّت به جسد الكلب الراقد في حينا القديم، وسألتها " ألم تقولي بأنك تنسجين هذا القميص لي؟"

وردت بأن الكلب يستحقه أكثر مني لأنه كلب ولأنه بارد وسألتني إن كنت أدرك معاناة أن يكون الشخص كلباً و بارداً في نفس الوقت؟، كنت أدرك معاناة أن يكون الشخص بارداً فقط، لا يوجد غطاء يُدفئه، لا يوجد وطن يدفئه، لا توجد أم أو إمرأة تدّعي بأنها أم تُدفئه، كنت أدرك معاناة أن تكون المرأة أُماً لأي شئ، أُماً للحزن، أُماً لكل رجل تحبه، لكل طفل تراه في الشارع، للأشجار، للأغاني الحزينة، إلا أن جدتي فعلت ما فاق مدى أدراكي، عندما علمتني كيف يمكن أن تكون المرأه أماً حتى لكلباً باردا ًيرتجف في الشارع، ومنذُ ذلك اليوم، ما عُدت أصدق جدتي حين تقول لي هذا القميص لك، وصرت أعرف أن كلباً أخراً سيكون يرتعد من البرد في الخارج وأنها سترمي القميص فوق جسده، وتربت على رأسه بعطف فيرفع لها ذيله شاكراً، ويبدو الكلب كرجل أنيق يرفع قبعته وينحني أمام إمرأة جميلة، وفي

يوم ماتت جدتي تبعتها كل الكلاب إلى قبرها وهم يرتجفون جميعاً من شدة البرد حتى أني شعرتُ بشماتة لأنهم سيصبحون مثلي، سيشعرون بي، لقد كانوا يأخذون قمصاني ، وذلك اليوم أخذ الله قمصاني ، ربما هو يشعر بالبرد مثلنا، ربما يشعر بالبرد أكثر منّا، ولذلك، أخذ الخيّاط.

(6)

كل التناقضات اللي جوايا عاملين هُدنة مؤقتة عشان مانهارش، وأنا بتفرج ع العالم بلامُبالاة شديدة، أو بهدوء شديد، أو ببرود شديد.. بثقة القائد المنتصر، أو بذهول المجاذيب.. بخرُج من ذاتي الضيقة للمجموعه بسهولة جدًا، و بخرج برة باب أوضتي بمعجزة تُعادل في آلمها مُعجزة قبض الروح، بحسِد آدم كونه كان بيمشي في طرق مش محسوباله، بحقِد على آدم كونه من غير أب و أم، و بلوم على آدم إنه جابني هنا!. فاشل، مع إني بعرف اعمل كل حاجة تقريبًا، بعرف أقطّع قلبي و أقسمه ع الكُل، بعرف انتصر ضد وللضُعاف، بعرف أخلق حياة م العدم وبعرف أقتل بنفس الاحتراف، بعرف أبتسم عند الهزيمة، وبعرف أعفو عند المقدرة، وبعرف أظلم و أتظلم و أعرف أخون و أتخان...بعرف أخسر البشر بهدوء شديد من غير آلم، بعرف أعمل اللازم مهما كان من غير ندم، بعرف العب بالكلام، بعرف أشوك الناس من نفسها، بعرف أشكِك الناس ف نفسها، بعرف أمشي على كل الحبال بثبات جراح، بعرف أقف في المساحة الآمنة و أستعرض شجاعتي، بعرف أقف ع المسافة الآمنة و استفز الكلب، بعرف أمرض بالوحدة أو بالقلب...بعرف أمسك دموعي على نفسي عشان انا بطل من ورق بيبوش، بعرف أبكي

على أوجاع صحابي و مابخبيهوش، بعرف أخبي دموعي في الفوطة بحكمة أبويا في إخفاء الضعف، بعرف أقول إن اللي على خدي مطر بحكمة أبويا في إنكار الضعف، بعرف أمنحك الدفا و أنا برتجف، و أقدر أمنعك تخاف و أنا بترعش

أنا في إنهيار مستمر، ودايم، بنزل لتحت بتأثير أقوى من مجرد عجلة جاذبية، تحت الضغط، تحت السما، تحت النظر، تحت عين الدولة الواسعة وِسع قبيح غير مناسب، و تحت كل ألواح رخام حبايبي بتحاسب، واقف من زمان و حركتي دي كادر مُتحرِك وراه، أو قصور ذاتي، بحب ناس كتير جدًا عشان بيفهموا سكوتي، عشان بيسمعوا سكوتي، بحب ناس كتير جدًا بس اليوم صغير، بحب ناس كتير جدًا وقلبي ضيق وزحمة، بكتم نفسي في لحظات الوجع، و بعاني، بسافر لآخر الدنيا في مكاني، بمشي في مليون اتجاه، قلبي ناقص و الكمال لله، قلبي قبيح و الجمال ليكي، بتعرفي تشوفيني على حقيقتي من غير خدوش، من غير رتوش، بتمسكي قلبي من ايده اللي بتوجعه، بشوف الجمال في الحتت الناقصة اللي بتمر مرور الكرام، عكاز نجيب محفوظ، الإنهاك في صوت أحمد خالد توفيق أشعار فؤاد حداد، ابتسامة ساره، عيون مريم، إيدك أو طبطبة على كتف في عزا المرحوم، بعرف أتلاشى بسهولة و بعرف أدوم.

(7)

جئت لمدينة السكاكين لأبحث لنفسي عن عمل، بستره سوداء اللون وبنطال أزرق ممزق في حقيبتي ، "القاهره" كما يحب الجميع أن يسميها أو "بنت المعز" كإسم مدللل لمدينة عملاقة كالمتاهة ، هي مدينة رثة جداً ومهما حاولوا تجميلها فلن تصير جميلةً أبدا ، هكذا رأيتها بعيون ألفت الجمال والأشمئزاز في مفهومها الشامل ، فالجميع في جيبه سكين ، السكاكين في كل مكان ، الصراعات هنا بالسكاكين والعلاقات بالسكاكين ، والحب ايضا ًبالسكاكين حتى إذا هم العاشق ليقبل عشيقته ستظنه كما لو أنه إشتباك بين اثنين لأنها بالكاد ستسمع صكيك سكاكين تحتك ببعضها وقت ستلتقي الشفاه ببعضها ، عليك أن تكون حذراً جداً هنا من الجميع، فالجميع مجمع على أن يمتلك سكيناً حتى وأنت في سيارة أجرة تجد السائق ودود وطيب جداً لكنه لغرض ما يخبئ سكيناً مسنونا تحت المقعد ، حتى وأنت في الطرق المخيفة في الشارع الرمادي العملاق يزحف القطار كثعبان حين يلتفت و كسيف يذبح الأرض حين يستقيم ، الموتى أيضاً بحوزتهم سكاكين ثبتت على شكل صليب فوق شواهد

قبورهم، الأطفال بالشفرات الحادة والنساء بسكاكين الأنوثة الفتاكه، ورجال الشرطة بسكاكين القوانين الفاسده، من المؤسف حقاً أنني لم أجد هنا أي عما البته ، جئت الى مدينه السكاكين لكنى لست سكيناً

انا مجرد جرح قديم

(8)

أنا مريض بالفقد لأنني لم أعد أستطيع النوم ،أسعل كثيراً لكي أشعر أن صوتي ما يزال معي ،أعاني من الزهايمر منذ فترة لهذا السبب أنسى حزني في البيت ،لا أتذكر أحداً سواي

أفكر وأثرثر وأشعر عبر تطبيق معزز يفهم مزاجي أكثر من أمي، أحك فروة رأسي من الضجر وأكتب أحياناً بإحساس روبوت يقنعني في كل مرة بأنه أنا ،أنا مريض جداً أكره الذهاب إلى المستشفيات لكي لا أسمع تنهدات أصدقائي القدامى ينادونني من ثلاجة الموتى، اسمي أبراهيم ولديّ أكثر من لقب مستعار ،عمري ربع قرن إلا عامين ،وقلبي له جيب يشبه الحضن في الداخل ،أتأبط كل الذين أحبهم لأضمهم إلى قفصي الصدري نكاية بالذين هربوا يوماً من بين ضلوعي

طولي ١٦٥ مترا ،كنت قزماً لا أحد يلمحني ليلقي عليّ التحية ،حواجبي دائماً مرفوعة إلى أعلى كي لا يدهسني أحدهم بالخطأ ،في الزحام أربط خيوط الأحذية للعابرين كنوع من لفت الانتباه ،كنت نحيلاً جداً لفرط هشاستي كانت تحملني أمي في دلو على رأسها لتعبر بي ساقية القرية ،تملأ جيوبي بالأحجار كي لا

تهزني الريح ،وأحياناً تربطني بخيط من خصري إلى ردائها وتهمس: هذا ليس خيطاً بل وريدي... لا أريدك أن تنقطع من نبضي... لأنك هيما

تعلمت مهارات كثيرة في صغري، حتى أني كنت أقلد الضفادع في غوصها وابتلع الطحالب لكي تستأنف حياتها الفطرية في أعماقي، أصمم نبلة من المطاط أحشوها بلعناتي والجيران الذين يوبخونني في الصباح أحطم زجاج نوافذهم في الليل كي لا أنام مهزوماً ،أمتطي ظهر حمار أدلعه باسم هيمه أظل أقنعه طوال الطريق بأنه لا فرق بيننا، عدا شيء واحد بأنه لا يرتدي ملابس ممزقه مثلي ،أنزل تحت شاهق جبلي لأقتطع قيلولة داخل كارتونة على مرمى قناصون لا ينصتون لشخيري ولا يزالون يراهنون على ثقبها بالطلقات ،بينما أنتظر رصاصة حانية تنتزع قلبي علها تأخذني إلى مكان ما ،في رأس السنة وهو بالمناسبة اليوم الذى سانتحر فيه ،ابتسم لحارس المقبرة مثل بابا نويل ،أسأله في كل مرة هل لديه قبراً على مقاسات طفل كهل يتطابق مع هيكلي العظمي ،كنت كلما سمعت عواءً يتهدج في الخارج قلت هذا موتي ،أذهب إلى النادى بانتظام لتصفية حسابي مع "سيا فورلر" التي كادت تنتحر من أجل صديق ولا تزال تلمح لي في أغانيها بأنه أنا ،أفتعل عراكاً مع الكرة أعتبرها أعدائي الطيبين فلم يعد لي أصدقاء حقيقيون سواها ،قبل قليل اشتريت قداحة

مع أنني لا أدخن ،أردت أن أحرق العالم وأتدفأ بآهاته ،أردت أن أبكي مثل شجرة عانس تذرف أوراقها الأخيرة لكي تودع روحها إلى الأبد.

***